الشطرنج : فوائد في اصلهِ وحكمتهِ

لجناب القانوني جرجي بك صفا رئيس دوائر استئناف الحقوق في لبنان الكبير

قرأت في العدد الاخير من المشرق الاغرّ (ص ٧٩٧) كلمةً في الشطرنج واصلهِ القديم فاردتُ ان اكتب شيئاً مما وقفتُ عليهِ بهذا الباب لعلَّ فيهِ فائدةً

١ لغته واشتقاقه

واوّل ما عنَّ لي اثبات ما ورد في المعاجم وبعض كتب الادباء . جاء في تاج العروس وفي عاصم افندي : الشِطْرَنج بكسر الشين أجود كجِرْدَحل . وقال الفيروزابادي انَّ الشين لا تُفتح . لكنَّ ما نفاهُ من فتحها اثبتهُ غيرهُ وجزم بهِ الحريري وغيرهُ وقالوا الفتح لغة ثابتة ولا يخالفها اوزان العرب لأنهُ عجميّ معرَّب فلا يأتي على قواعد العرب من كلّ وجهٍ . وقال ابن برّيّ في حواشي الصحاح : « الاسماء العجميَّة لا تشتقّ من الاسماء العربيَّة والشطرنج خماميّ واشتقاقهُ من شَطَرَ او سَطَرَ يوجب كونها ثلاثيَّة فتكون النون والجيم زائدتين وهذا بيّن الفساد » . وقد ورد بالسين (سَطرنج) وهي لغة

أمّا اشتقاقهُ فقد اختلفوا فيهِ فمَن اشتقَّهُ من العربيَّة زعم انهُ من الشطارة او المشاطرة . وقال ابن هشام اللخميّ في فصيحهِ انهُ من التَّسطير . وقد نفى ابن برّي اشتقاقهُ من العربيَّة

واشتقَّهُ كثيرون من العجميَّة فقال في البرهان القاطع : « هو معرَّب عن شُتَر وهو اسمٌ لليروح (او اللفّاح mandragore) واليروح يكون على شكلين فسمّوا هذا اللعب الشطرنج تشبيهاً بهِ فعلى هذا يكون اعجميّاً » . . وهذا بعيد . وابعد منهُ ما ورد في شفاء الغليل انهُ تعريب « شُدْرَنْك » (او شُدْرَنْج) اي مَن اشتغل بهِ ذهب عناؤهُ باطلاً . ومثلهُ غرابةً انهُ من « شطّ رتج » اي ساحل التَّعب . وكذلك اشتقاقهُ من « صَدْرَنْج » اي مئة عناء . وقالوا « صَدْ رنك » اي مئة حيلة . قال في التاج : « وكلّ ذلك احتمالات »

واقرب الى الصحة ما قالهُ الطيّب الـذكر وشهيد الدين السيد ادّي شير رئيس اساقفة سعرد على الكلدان في كتابه الالفاظ الفارسيّة المعرّبة (ص١٠١) :الشطرنج معرّب عن شَتْرَنك . .وعندي انّ الفارسي شترنك اصلهُ شاهْ تُرَنك اي الشاه لطيف او الشاه اللطيف .او هو مركّب من « شَتْ »وهو تخفيف شَتَل ويُطلق عـلى الحصّة التي يعطيها المقامر بعد نهاية اللعبة الى الـذين حضروا المجلس ومن « رَنك » ومعناهُ القمار » . وقال غيرهُ انّ اصلهُ :« شاه رنج » اي همّ الملـك او حزنُ الملك . ومن الاشتقاقات الشائعة انهُ من « شش رَنج » اي ستّة الوان او ستّة اصناف من القطع الداخلة في اللعب وهي الشاه (الملك) والفرزان (الملكة) والفيـل والفرس والرخ (البُرْج) والبيدق (اي الجندي الماشي)

وقد اشتقّهُ الغير من الهنديّة . قال السيد ادّي شير :وقيل انهُ مركّب من « شَتْر » وهو العدوّ باللغة الهنديّة ومن « رنك » ومعناهُ الحيلة او المشية اي حيـلة العدوّ او مشيتُهُ : وقال ڤولّرس (Vullers) في معجمهِ الفارسيّ اللاتينيّ انّ اصل الشطرنج من السنسكريتيّة « چتر إنكْ »ومعناهُ « اربعة اصناف »اشارة الى ما يدخل في ساحة الحرب من المحاربين وعدّتهم في الهند اعني « الفيلة والخيل (إسب) والايراج (الرخ) والجند المشاة (پيده)

فترى من تعدّد هذه الآراء شيوع لعبة الشطرنج في انحاء الشرق قديماً

٢ اصل الشطرنج وتاريخه

كما اختلف الكتبة في اشتقاق اسم الشطرنج كذلك لم يتّفقوا على مخترعه وزمن اختراعه . قال هيرودوتس (١ في تاريخه (ك ١ ع ٩٤) : « حدثت مجاعة في زمان الملك أتيس بن مانيس شملت كل بلاد الليديّين فقاساها الليديون مـدة قصيرة ثم رأوا ان حالة هذا الضيم لن تزول فعالجوا في إزالـته كلٌّ بحسب ما عنّ لهُ .وفي تلك الغضون اخترعوا اللاعب واللاهي مثل اللعب بالطابة والشطرنج والكعاب ومـا شاكل ذلك فكانوا يقضون نهارهم لاعبين بالمناوبة بقصـد التلهّي عن الجوع وفي

١) اطلب ترجمة تاريخ هيرودوتس العربيّة لحبيب افندي بـترس (١ : ٥٨٠)

اليوم التالي كانوا يشتغلون عن اللعب بمناولة الطعام واستمروا على هذه الحالة ثمان عشرة سنة ...»

قال ابو اسحاق برهان الدين ابرهيم المعروف بالوطواط في كتابه غرر الخصائص الواضحة (ص ١٥٦) : «ان رجلاً من الحكماء اسمهُ صِصَّة (١ وضع لملك الروم المدعو بلهيث لعبة الشطرنج وعرضها عليه واظهر له مكنون سرّها . فقال له الملك : اقترح ما تشتهي . قال : ان تضع حبَّةَ بُرّ في البيت الاوّل ولا تزال تضعفها حتّى تنتهي الى آخر البيوت فما بلغ تعطيته . فاستخفّ الملك عقلهُ واحتقر ما طلبهُ وقال : كنتُ اظنّ برجاحة عقلك وتوقّد فكرك ان تطلب شيئاً نفيساً . فقال : أيها الملك انك لمّا صرّفتني الى التمني لم يخطر ببالي غير ذلك ولا سبيل الى الرجوع عنهُ . فانعم له الملك بما سأل وتقدّم باحضار الحسّاب وامرهم بحساب ذلك فأعملوا في بلوغ قصده مطايا الافكار حتّى لاح لهم نجم صدقه فعرفوهُ بعد الإنكار فلم يجدوا في بلاد الدنيا من البُرّ ما يفي للحكيم بمراده ولو كانت الرمال من امداده» . وهذه هي الارقام (٢

١٨٤،٤٦٧،٤٤٠،٠٧٣،٧٠٩،٥٥١،٦١٥

ونظم بعضهم ذلك بحساب الجمّل :

هاوٌ أهبطُ وصفرٌ بعدهُ زَجَرٌ وثنِ صفرًا وقُلْ ددٌ زَوَدَّدَها

وجاء في كتاب وفيات الاعيان للقاضي شمس الدين ابن خلّكان (١ : ٦٤٣) في ترجمة ابي بكر محمّد المعروف بالصولي الشطرنجي قال : رأيت خلقاً كثيرًا يعتقدون ان للصولي هو الذي وضع الشطرنج وهو غلط وانما وضعه صِصَّة . واردشير ابن بابك اول ملوك الفرس الاخيرة هو الذي وضع النرد ولاجل ذلك قيل النردشير لانهم نسبوه اليه . ولما تمّ وضعه واشتهر افتخرت به الفرس وكان ملك الهند يومئذٍ بلهيت فوضع له صصّه المذكور الشطرنج فقضت حكماء ذلك العصر بتفضيله على

---

١) وقد تصحّف هذا الاسم بالمشرق (ص ٦٩٧) بحصّه والصواب كما ترى بصادين مهملتين الاولى مكسورة والثانية مشدّدة مفتوحة وفي الآخر هاء ساكنة

٢) وفي قاموس لاروس ذكر العدد على هذه الصورة بنقص صفر في الخانة الخامسة :

١٨،٤٤٦،٧٤٤،٠٧٣،٧٠٩،٥٥١،٦١٥

قال ان ثمن القمح المشار اليه بهذا العدد يساوي نحو ٢٠٠ مليار فرنك

النرد ولما عرضه على الملك واوضح له امره سأله ان يتمنى عليه فتمنى عليه عدد تضعيف بيوته قمحاً فاستصغر الملك ذلك وانكر عليه ما قابله من النزر القليل فقال له : ما اريد غيره فامر له به فلما حسبه ارباب الديوان قالوا للملك : ما عندنا ما يقارب القليل منه . فانكر ذلك فاوضحوه له بالبرهان فاعجبه الامر الثاني اكثر من الاول »

قال ابن خلكان : « ولقد كان في نفسي حرارة من هذه المبالغة حتى اجتمع لي بعض حسّاب الاسكندرية وذكر لي طريقاً تُبيّن لي ما ذكروه واحضر لي رقعة بصحة ذلك وهي انه ضاعف الاعداد الى البيت السادس عشر واثبت فيه ٣٢٫٧٦٨ حبة . (قال) ونجعل هذه الجملة مقدار قدح وقد عيّرتها . فكان الامر كما ذكره والعهدة عليه في هذا النقل . ثم ضاعف السابع عشر الى البيت العشرين فكان فيه ويبة (١ ثم انتقل من الويبات الى الإرْدَبّ ولم يزل يضاعفها حتى انتهى في البيت الاربعين الى ١٠٠٫٧٦٢ اردباً وتُلثي اردب وقال : في هذا المقدار شونة . ثم انه ضاعف الشوَن الى البيت الخمسين فكانت الجملة ١٫٠٤٢ شونة . ثم قال : هذا المقدار مدينة . ثم انه ضاعف الى البيت الرابع والستين وهو آخر الابيات فكان ١٦٫٣٨٤ مدينة وقال : نعلم ان ليس في الدنيا مدن اكثر من هذا العدد . قال ابو عبدالله محمد بن الاكفاني : اذا جُمع هذا هرماً واحداً مكعّباً كان طوله ستين ميلاً وعرضهُ كذلك وارتفاعه كذلك فالميل الذي هو اربعة آلاف ذراع بالعمل الذي هو ثلاثة اشبار معتدلة على ان الاردب المصري مساحته ذراع مكعب وزنته مائتان واربعون رطلاً والدرهم اربع وستون حبة من القمح » انتهى كلامه

وكان المحققون يرون انّ الشطرنج من وضع الهند في القرن الثالث للميلاد . لكنّ ما ورد في المشرق (ص ٧٩٧) نقلاً عن المجلّة الاسيويّة الفرنساويّة يبيّن انّ هذه اللعبة كانت معروفة بالصين في القرن العاشر قبل المسيح يلعب بها احد ملوكهم المدعو « مو » . فترجّح ان واضع الشطرنج هو احد علماء الصين . فاخذهُ عنهم اهل الهند ثمّ دخل بلاد فارس . ولما غزا العرب الفرس اخذوهُ عنهم وعن طريقهم اتّصل الى اوربّة

١) الوَيبة ٢٢ او ٢٦ مدًّا

٣ اسرار الشطرنج وحكمته

كان للعب الشطرنج شأن عظيم عند الشعوب القديمة الغازية وكان عند الفرنج من الشروط الاساسية لمن يريد الدخول في طبقة الفرسان. قال الحسن بن عبدالله في كتاب آثار الاول في ترتيب الدول (ص ١٣٠) : « وُضع الشطرنج لصفة الحرب ولِما فيه من قصد المغالبة وهو يُنهض القوّة الغضبيّة وهو من وضع الهند واقتياساتهم مثال في سياسة الملك وتدبير الحرب » . وقال الوطواط في غرر الخصائص الواضحة (ص ١٥٦) : « وضع بعض حكماء الهند الشطرنج وبيّن للملوك فيها ما خفي عنهم من مكايد الحروب وكيفيّة ظفر الغالب وخذلان المغلوب وبيّن فيها التدبير والحزم والاحتياط والمكيدة والاحتراس والتعبية والنجدة والقوّة والجَلَد والشجاعة والبأس فمن عدم شيئاً من ذلك عُلم موضع تقصيره ... والتقصير سبب الهزيمة والتلَف وعدم المعرفة بالتعبية داعٍ الى الانكشاف » . وقد نشرت مجلّة المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٧٧ — ٣٩) ارجوزة لابن الهبّاريّة بيّن فيها الراجز غاية لعب الشطرنج وما فيه من الحكم لاتقان آداب الحرب. ولعليّ بن الجهم وصف مثلهُ حيث قال :

ارضٌ مربّعةٌ حمراء من أدَمٍ ... ما بينَ جيشَيْنِ مصفوفينِ بالكرمِ
تذاكرا الحرب فاختالا لما شُبِّها ... من غير ان يأثما فيه بسفك دمِ
هذا يكرُّ على هذا وذاك على ... هذا يكرُّ ويمينُ الحرب لم تَنَمِ
فانظر الى فِطَنٍ جاشت بفكرهما ... بمكرّ بن بلا طبلٍ ولا عَلَمِ

وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب (١ : ١٥٩) الحكمة في وضع الشطرنج بقوله : « صُنعت الشطرنج في أيّام بلهيث ملك الهند فقضى بفضلها على النرد وبيّن الظفر الذي ينالهُ الحازم والنكبة التي تلحق بالجاهل وحسب حسابهما ورتّب لذلك كتاباً للهند يعرف « بطَرَق جنكا » يتداولونهُ بينهم ولعب بالشطرنج مع حكمائهِ وجعلها مصوّرة تماثيل مشكّلة على صور الناطقين وغيرهم من الحيوان مما ليس بناطق وجعلهم درجات ومراتب ومثّل الشاه بالمدبّر الرئيس وكذلك ما يليها من القِطَع واقام ذلك مثالاً للاجسام العلويّة التي هي الاجسام السماويّة من السبعة (اي السيّارات) والاثني عشر (اي منطقة البروج) وافرد كلّ قطعةٍ منها بكوكب

وجعلها ضابطة للملكة . فاذا كان عدوّ من اعدائه فوقعت فيهم حيلة في الحروب نظروا من اين أُوتوا في عاجل او آجل . والهند في لعب الشطرنج سرٌ يسرُّونهُ في تضاعيف حسابها ويتغلغلون بذلك الى ما علا من الافلاك . . . وما تقتضيه سائر المؤثرات العلوية في هذا العالم .

وقد شاع لوضع الشطرنج غايةٌ أُخرى نوّه بها الكتبة قالوا : انّ اردشير بن بابك كان وضع لعب النَّرد ليبيّن انّ امور الناس تجري على حسب القضاء والقدَر وان الانسان ليس لهُ تصرُّف في نفسه لا يملك لها نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً ولا يقدر ان يجلب لها سعداً ولا شقاء بل هو مصرَّف على حكم القضاء كاللاعب بفصّي النرد (الزهر) لا يعلم ما يردان عليه من خير او شرّ من نفع او ضرّ أيكون غالباً او مغلوباً . فعلى ذلك المثال يكون تارةً غنيًّا وتارةً فقيراً على حسب تقلُّب الاقدار به . فلمّا رأى حكماء الهند ما نواهُ واضع النرد خالفوهُ بوضع الشطرنج ليثبتوا انّ احوال الناس تجري بحسب العقل لا الصدفة وهذا هو رأي قوم من كبار العلماء منهم اكثم ابن صيفيّ حكيم العرب فانهُ قال : المرء يعجز لا المحالة (١ يريد انّ الانسان يعجز لا الحيلة فانها موجودة دائماً لكنّ الانسان يعجز ولا يهتدي اليها وهذا ما اشار اليه بديع الزمان بقوله في مقامته البغداديّة :

أَعمِلْ لِرزقك كلَّ آلَهْ ... لا تقعُدَنَّ ببذلِ حالَهْ
واخضَ بكل عظيمةٍ ... فالمرء يعجزُ لا المحالَهْ

ورُوي هناك «لا محالة» فظنّ الشارح انّ معناه انّ المرء يعجز بلا شكّ والصواب انّ معناه « اسعَ واجتهد ولو كان الامر عظيماً فانّ الحيلة موجودة وهي لا تعجز وانّما العجز يكون من المرء »

وترى الكتبة تارة يجنحون الى القول بالقضاء والقدر وتارة يعدلون الى السعي الشخصي والحزم في العمل . وهنا لا بُدَّ من التمييز بين الامور العمومية التي لا تداخل فيها للحرّية البشرية التي حكم الله بها بقضائه ويدبّرها بحكمته وعنايته وبين

١) المحالة والمحال والحيلة والاحتيال بمعنى واحد . كذا في مختارات الصحاح . وقولهم لا محال هو مصدر ميميّ بمعنى التحوُّل من حالَ الى كذا اي تحوَّل اليه وخبر لا محذوف اي لا محالة موجودة (حسن چلبي)

الامور المنوطة بحرّيّة كلّ انسان التي لا تقع تحت قضاء الله السابق بل تحت قضائه اللاحق اي التابع لاختيار المرء . فان هذه الامور الاخيرة تستدعي حزم الانسان وسعيهُ وتوجيه حرّيّته الى ما هو افضل لهُ (اطلب في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٨٩٩ مقالةً في القضاء والقدر) وفيها يصحُّ قول العامّة في مثلهم عن لسانه تعالى : « قوم تأقوم معك» وكذلك المثل الفرنساوي : aide-toi le Ciel t'aidera . وعلى هذا الوجه يجب تفسير ما جاء في الاسفار المقدّسة وفي غيرها حيث تُنسب الامور حيناً لله وحيناً للانسان دون الله وربّما كان كلامها عن الامور المقدّرة من الله التي لا دَخْل فيها للمشيئة البشريّة

٤ اصناف الشطرنج

لا يُعرف في يومنا من لعب الشطرنج غير الآلة الشائعة منهُ في كلّ البلاد . وقد عرف القدماء من اهل الهند وغيرهم اصنافاً أُخرى قال المسعودي في مروج الذهب (٨ : ٣١٢—٣١٤) : « قد ذكر الناس ممّن سلف وخلف انّ جميع آلات الشطرنج على اختلاف هيئاتها ستّ صور لم يظهر في اللعب غيرها . (فاوّلها) الآلة المربّعة المشهورة وهي ثمانية ابيات في مثلها وتُنسبت الى قدماء الهند ٢ ثم الآلة المستطيلة وابياتها اربعة في ستّة عشر والأمثلة تُنصب فيها في اوّل وهلة في اربعة صفوف من كلّ الوجهين حتّى تكون الدوابُّ منها في صفّين والبيادق في صفّين امامها ايضاً وسيرها كسير امثلة الآلة الاولى . ٣ والآلة المربّعة وهي عشرة في مثلها والزيادة في امثلتها قطعتان تُسمّيان الدبّابتين وسيرهما كسير الشاه الّا انّهما يأخذان ويؤخذان . ٤ ثمّ الآلة المدوّرة المنسوبة الى الروم . ٥ ثمّ الآلة المدوّرة النجوميّة التي تسمّى الفلكيّة وابياتها اثنا عشر على عدد بروج الفلك مقسومة بصفّين ويتنقّل فيها سبعة امثلة مختلفة الالوان على عدد الخمسة الانجم والنيّرين (اي السيارات) وعلى الوانها . . . ٦ ثم آلة اخرى تسمّى الجوارحيّة استُحدثت في زماننا هذا وهي سبعة ابيات في ثمانية وامثلتها اثنا عشر في كلّ جهة منها ستّة كلّ واحدة من الستّة تسمّى باسم جارحة من جوارح الانسان التي بها يميّز وينطق ويسمع ويبصر ويبطش ويسعى وهي سائر الحواسّ والحسّ المشترك الذي من القلب» انتهى قول المسعودي

وذكر ابن عربشاه في تاريخ تيمورلنك انَّ هذا الامير كان ملازماً للعب الشطرنج مع بعض الشطرنجيين كمحمَّد بن عُقَيْل الخيمي وزين اليزدي وعلاء الدين التبريزي ومن قولهِ لعلاء الدين : « انتَ في ملك الشطرنج فريد كما اني في سياسة الملك وحيد » . قال ابن عربشاه انَّ علاء الدين كان يلعب هو والامير (اي تيمور لنك) بالشطرنج الكبير ورأيتُ عندهُ شطرنجاً مدوَّرًا وشطرنجاً طويلًا . . وكانت عَلَتْ هيئةُ عن الشطرنج الصغير فكان يلاعب بالشطرنج الكبير ورقعهُ عشرة في احد عشر وفيهِ من الزوائد جملان وزرَّافتان وطليعتان ووزير . والشطرنج الصغير بالنسبة الى الكبير كلا شيء ورسم الشطرنج الكبير بهذه الصورة :

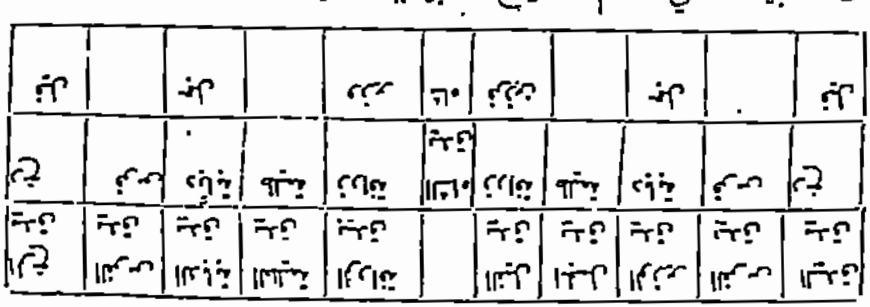

اربعة ايات

الرخ يدق	الفرس يدق	الدبابة يدق	الطليعة يدق	الزرافة يدق		الفيل يدق	الجمل يدق	الوزير يدق	الفرس يدق	اليدق يدق
رخ	فرس	دبابة	طليعة	زرافة	الشاه يدق	زرافة	طليعة	دبابة	فرس	رخ
فيل		جمل		وزير	شاه	فرزين		جمل		فيل

واخبار الشطرنج كثيرة فنكتفي بما اوردنا منها